درس يجب ان نفهمه

بقلم مواطن عماني

يحاول المرأ ان يتخذ من كل مصيبة درسا يستفيد منه خشية ان يقع فى مصيبة أخرى قد لا يجد لها علاجا ، ولذلك فان كل مصيبة تصيب الشخص أو الأمة ولا تقتل تزيد قوة الاحتمال وتكشف طرقاً كثيرة للمقاومة ، وها نحن العمانيين قد وقعنا فى مصائب كثيرة يجب أن نعتبر بها ، واولى هذه المصائب هي الغفلة ، فنحن لو ادركنا الفوائد التى القتها علينا مصائبنا لما كان مصيرنا هذا الذي وقعنا فيه ، هذا المصير الذي لا ترضى به حتى الحيوانات ، واقرب مظاهره أن يتولانا حاكم لا يسكن فى عاصمته وأن يدبر شئوننا بجهاز لاسلكي ، وأن يستحوذ على اراضينا ومرافقنا قائده الانكليزي . لقد كان علينا أن نستفيد من كل المصائب التى واجهناها من اعتداء الانكليز : على عبرى ، من زحفهم على أدم ، من مرابطه بارجتهم الحربية بالسيب من محاصرة الامام غالب ، من قضية الخضراء ، من اعتمادهم على حاكم لا علاقة بيننا وبينه نتيجة تصرفاته ومن (قول إينس) وزير خارجية سلطان مسقط للشيخ سليمان بن حمير « إنك أول الخونة عليك ان تعتبر نفسك سجيناً فى بلدتك تنوف ، حتى تتلقى الأوامر عنك » ومن إغرائهم فتى غمراً صغيراً واستغلالهم روح المنافسة فيه ، لقد كان علينا أن نستفيد كثيراً . لقد مرت علينا هذه المصائب ونحن متأثرون بها فى قلوبنا ولكنا لم نجتمع على رأى فى مقاومتها ، والاستياء فردا فردا لا يفيد ، فيجب ان يكون هنالك حبل يربط بين هذا الاستياء فى قلوب الافراد والحبل هذا هو الذي عناه الله فى قوله الكريم : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » إنه حبل الله وليس فينا من

يكره أن يلبى أمر الله أو أن يرتبط بحبل الله ذى الجلال والاكرام ، الله الذي يمهل ولا يهمل .

فما هو الدرس الذي تلقيه علينا معركة الحجريين ؟ الحجريون من أكبر القبائل فى عمان عدداً وعدة وثروة وأحصنها مسكناً ومعنى . هذا ان الانكليز اختاروا ضحية كبيرة تلقي درساً بليغاً على بقية القبائل التى تحاول أن تخالفهم ، فاذا ما أرادت أن تخالف قال لها الدساسون : حذار إنكم لن تكونوا أقوى من الحجريين. ومن قبل هذا بدأوا بقبيلة بنى بوعلى وأردفوا ضربتهم بالحجريين فحذار ايتها القبيله الغاضبة . اطيعي وإلا ستلاقين نفس المصير . سيطلب منكم السلطان الزكاة فسلموها لتبرهنوا عن خضوعكم له ، وسيفرض الجمارك على كل بلدة مثل ما يفعل فى منطقته بالباطنة ومسقط وظفار . فحذار ان تخالفوا وسيطلب منكم نزع السلاح ، فهيا أيها العمانيون سلموا سعيد بن تيمورن والانكليز أسلحتكم وهم يفتكون بكم الآن ومعكم السلاح . فما الحالة وأنتم عزل منه ؟ ومرة ثانية سيقول الدساسون . استسلموا لا تخالفوا . أما رأيتم بنى بوعلى والحجريين ، حذار ثم حذار وفى مقابل هذا سوف يخدعكم السلطان سيلبس العمامة البيضاء كما لبسها عندما دخل نزوى فخرج بعد أيام الى ظفار حيث بعد كثيرا عن مطالب العمامة . فهل ستطيعون الدساسين ؟ إذن أين الشرف وأين الغيرة وأين الحمية ؟؟؟ أين هذه الاشياء التى يصفها شاعركم المحبوب أبو مسلم بقوله :

سيماهم النور فى خلق وفى خلق ... وهديهم سنة بيضاء تبيان

هم أسمع الناس فى حق وابصرهم ... وفى سواء هم صم وعميان

لم تلههم زهرة الدنيا وزخرفها ... إذ همهم صالح يتلوه رضوان

باعوا بباقية الرضوان فانيهم ... كأن لذة هذا العيش أوثان

إننا بعد هذا يجب ان نوقف بين العقل وبين هذه العادات الحميدة . ان عقلك لا يقول لك اصبر على الذل كلا ، انه يقول لك تدبر امرك ونحن سنتناقش لنحزم أمورنا ونتدبر .

حقاً ان السياسة التى سلكها الانكليز بالقضاء على القبائل قبيلة قبيلة هي سياسة تكفل لهم النجاح وتخضع عمان كلها لسلطان غاشم تماما كما يخضع هو الآن للانكليز . فما السبيل لأن ننقذ أنفسنا من هذا المصير ؟ السبيل الناجح أن نلقي الكافرين دون أن نوليهم الأدبار . السبيل الناجح هو ان يجتمع رجال القبائل وايتحالفوا على السراء والضراء هو أن يكونوا قوة من تحالفهم تجعلهم كبارا فى عيون سلطان مسقط ، ويحسب لها حساباً لدى القوات الانكليزية المعتدية . كونوا لكم حلفا من القبائل فاذا ما اعتدى على واحدة قام الجميع بنصرتها والدفاع معها عن شرفها وعزتها الذي هو شرف الجميع وعزة الجميع ، وقديما كون أجدادكم العرب حلف الفضول لنصرة المظلوم وقال فيه صلى الله عليه وسلم : « شهدت مع أعمامي حلف الفضول . ولو دعيت لمثله فى الاسلام لأجبت » واذا ما خشيتم التظاهر بهذا ، فالواجب أن تساعدوا القبيلة المعتدى عليها سراً حتى بأفراد من القبائل ، فليس هناك ما يميزكم . ويمكنكم أن تساعدوهم بعرقلة المواصلات وباعطاء المؤن ومهاجمة معسكرات جيوشهم سراً . ان ذلك هو السبيل الوحيد الذي يكفل لكم العزة والكرامة . وتأكدوا انكم بغيره سوف تسقطون قبيلة قبيلة وتنهارون — لاقدر الله — تحت أقدام عدوكم فالاولى أن تساعدوا بعضكم بعضا وأن تحتفظوا بتآخيكم قبل أن تسقطوا جميعاً ، ومن فرج عن مسلم كربته فرج الله عنه كربته يوم القيامة .